وصية غريب

عبد الرحمن محمد اللهيب

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على ســيد المرســلين وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

أخي الحبيب : تفكر في مصيرك ومآلك، وراقب الله في أقوالك وأفعالك، وبادر بالتوبة تمحو بها ما مضى من سيئاتك فإن الله تعالى يقبل توبة التائبين ويعفو عن المسيئين، قال جل وعلا : ﴿**قُــلْ يَــا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّـــهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الــرَّحِيمُ**﴾[الزمــر:٥٣]، وقال ﷺ «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبســط يده بالنهار ليتوب مسيء الليــل حــتى تطلــع الشــمس مــن مغربها».[رواه مسلم].

لذا اعلم أخي الشاب أن الموت أمامك وأنه حق لا ريب فيه، ويقين لا شك فيه، هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأشبع، إنه هادم اللذات ومفرق الجماعات، وقــاطع الأمنيات وميتم البنين والبنات، إنه الواعظ الصامت، يأخذ الغـــني والفقير، والصحيح والسقيم، والشـــريف والوضـــيع، والصـــغير والكبير.

أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا؟!

أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبة وعزا؟!

أين الأصدقاء والأحبة؟!

هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟!

أفناهم الله مفني الأمم، وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم مـــا اكتســـبوا، أسلمهم الأحباب والأولياء وهجرهم الإخوان والأصفياء ونســـيهم الأقرباء والبعداء لو نطقوا لأنشدوا:

مقيم بالحجون رهين رمس		
		وأهلي راحلون بكل واد
كأنيَ لم أكن لهمُو حبيبا		
		ولا كانوا الأحبة في السواد
فعُوجوا بالسلام فإن أبيتم		
		فأوموا بالسلام على البعاد

أخي الحبيب:

تخيل نفسك وقد نزل بك ملك الموت تراه أمامك، تراه واقفا عند رأسك، وترى ملائكة العذاب أو ملائكة الرحمة أمام عينك.. ماذا ستقول؟ ماذا ستفعل؟ تخيل نفسك بعد لحظات، ستكون أنت المسجَّى على فراش الموت، ماذا ستقول لملك الموت وهو يناديـــك: أيتها الروح الطيبة،أو أيتها الروح الخبيثة، أيتـــها الـــروح الطيبـــة أخرجي إلى رب غير غضبان إلى روح وريحان، فتنزع روحك كما تنزع القطرة من فم السقاة، أو أيتها الروح الخبيثـــة، اخرجـــي إلى

غضب من الله ولعنة، فتفزع الروح وتتشعب في السم، فينتزعهـــا كما ينتزع الشوكة من الصوف الرطب ،كيف تفعـــل في هـــذه اللحظة ؟ من سينفعك؟ من سيحميك؟ من سيدفع عنك؟ ليس إلا الله ، ليس لك إلا عملك الصالح، ليس لك إلا فعل الخير، والله في هذه اللحظة ستنسي أموالك ورئاستك وتنسى أولادك وأصحابك وأحبابك وكل من حولك ، ولا تذكر إلا حسنة قد تكون بمثقـــال ذرة أو ابتسامة صادقة ابتسمتها في وجه مسلم ، أو مســـحة رأس يتيم ، أو ريالًا أخذته سرا في سبيل الله أنفقته يمينك حتى لا تعلـــم شمالك.

أيها الأخ الحبيب: توهم نفسك وقد ساقوك إلى يوم الحساب والحشر والنشر.. الحساب وما أدراك ما يوم الحساب !! يـــوم أن يناديك قيوم السموات والأرض وترى قبرك فوق رأســـك.. بـــدأ التراب يتزحزح وينهال عليك وبدأت ترى نفسك تتخلـــق مـــن عجب الذنب، تنتشر من أطرافك، وتمتد من أعضائك، وبدأ يتسع قبرك أو يضيق، وبدأ إسرافيل ينفخ للنشور، وإذا بالقبر ينشق فترى أمامك أهوال يوم القيامة، نجوم تدمر، أفـــلاك تـــذهب، سمـــوات تتفجر، بحار تنفطر، بحار تتفجر، أرض تتدحرج، جبال تنســـف، خلائق تسعى من الجن والإنس والوحش، والملائكة يحشرهم الله في أرض المحشر فتراهم يموج بعضهم في بعض تبحث لك عن مـــوطئ قدم فلا تجدها، يجمعهم الله سبحانه وتعالى فيحاسبهم الله جميعـــا ، ويتحاسب الخلق بعضهم من بعض.

قال الحسن البصري : «إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامـــة

فيقول : بيني وبينك الله، فيقول والله ما أعرفك ! فيقــول : أنــت أخذت من طينة حائطي، وآخر يقول : أنت أخذت خيطـا مــن ثوبي».

الله أكبر... كلا يأخذ حقه يوم القيامة، فمن سيكون معك في هذه اللحظة ؟ هل سألت نفسك ؟ هل أنــت المــدفون الأول، أو الثاني، أو المدفون العاشر؟ فلعل أناسًا دفنوا قبلك وأناسًـا دفنــوا فوقك!!

أخي المسلم : توهم نفسك وأنت ترى نفسك مدفونًا في هذا القبر.. يا ليت شعري أي جزء من أجزائك سيبدأ به الدود؟ عيناك المترفتان الناعمتان أيهما ستسيل على خديك أو وجنتيك؟.. لسانك الذي تتكلم به وتتذوق به متى سيأتيه الدود والبلى، أتذكرت هذه اللحظات يوم أن تأتيك الملائكة فيقولون لك : من ربك ؟ فتقــول ربي الله الذي لا إله إلا هو. ويقولون : ما دينك؟ فتقول : ديــني الإسلام. ماذا فعلت في الرجل الذي أرسل فيكم ؟ فتقول هو عبد الله ورسوله. فيقولون : ما يدريك؟ تقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت به فيقولون : انظر عن شمالك فيفتح لك مــن النــار، فيقولون : هذا مقامك لو أنك كفرت بالله. فتغلق ثم يقولون : انظر عن يمينك هذا مقامك في الجنة ويمتد قبرك على مد بصرك ترى فيها أطيارها وأزهارها وأنهارها ويأتيك من روحها وريحانها. فتقــول : ربي أقم الساعة حتى أذهب إلى أهلي ومالي فيقال لك : نم في قبرك نومة العروس فتمر عليك فترة البرزخ كصلاة ظهــر أو كصــلاة عصر.

أخي الحبيب : ماذا فعلنا لهذه اللحظات ألم يلهنا التكـــاثر؟ ألم تلهنا الأموال؟ ألم تلهنا البيوت ؟ ألم يلـــهنا الأولاد والأزواج ؟.. ﴿ألهاكم التكاثر﴾.. تأتي عائشة رضي الله عنها والرسول ﷺ يذكر عذاب القبر، فتقول ماذا أفعل يا رسول الله وأنا المرأة الضعيفة عند ذلك يقرأ عليها قوله تعالى : ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـــوا بِـــالْقَوْلِ الثَّابِتِ**﴾ [إبراهيم :٢٧].

نعم يثبتك الله في الحياة الدنيا بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويثبتك في القبر عند السؤال بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه الكلمة الطيبة التي هجرها الناس فلا يذكرونها إلا قليلاً.

أخي الحبيب: تذكر عذاب القبر، تذكر ضمته والرســـول ﷺ يسعى جاهداً على قدميه متجها آخر الليل إلى بيت سعد بن معـــاذ يقول :« لعل الملائكة سبقتنا إليها» فلما دخل داره لم يجد لنفســـه موطئ قدم ليقف فيه إذ أحاط الملائكة بسعد يشيعونه ويغســـلونه ويعدون بجنازته حتى رفع ملك من الملائكة جناحه فوقف الرســـول ﷺ مكانه ويخبر جبريل الرسول ﷺ أن عرش الرحمن قد اهتز لموت واحد من أصحابه ، فعرف الرسول ﷺ أنه سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فيحمل جنازته ، وما أخفها لأنها خفت مـــن الســـيئات ، ولكنها ثقيلة في ميزان الحسنات ، ويدفنه المحبوب ويشيعه إلى لحده ، فلما نظر إلى قبره اصفر وجهه ، وتغيرت ملامحه ، وأشاح عنه ، وبكى فقالوا : لم فعلت ذلك يا رسول الله قال : «**لقد ضم القـــبر سعد ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ**».

أخي الحبيب : تخيل رحلة الغريب.. تخيل نفسك طريحاً بـــين أهلك وقد وقعت في الحسرة وجفت منك العبرة، وثقـــل منـــك اللسان واشتدت بك الأحزان، وعلا صراخ الأهل والأخوان.

كـــأني بـــين تلـــك الأهـــل منطرحـــاً
علـــى الفـــراش وأيـــديهم تقلـــبني
كـــأني وحـــولي مـــن ينـــوح ومـــن
يبكـــي علـــيّ وينعـــاني ويـنـــدبني
وقـــد أتـــوا بالطبيـــب كـــي يعـــالجني
ولم أر الطـــب هـــذا اليـــوم يـــنفعني
واشتد نزعـــي وصـــار المـــوت يجـــذبها
من كـــل عـــرق بـــلا رفـــق ولا هَـــوَن

ويُدعى لك الأطباء، ويجمع لك الدواء فلا يزيـــدك إلا همـــا وبلاء.

وبعدها تيقنت أن الموت قد فاجأك وأن ملك الموت قد وافاك، فيئس منك الطبيب وفارقك الحبيب، فوقعت في الحسرة وجاءتـــك السكرة. ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[ق:١٩].

تلك اللحظة هي آخر لحظة تلقي فيها آخر النظـــرات علـــى الأبناء والبنات، والأخوان والأخوات تلقي فيها آخر النظرات على هذه الدنيا الفانية، وتبدو على وجهك معالم السكرات وتخرج من صميم قلبك الآهات والزفرات.

واشتد نزعي وصـــار المـــوت
من كل عرق بـــلا رفـــق ولا

ثم اشتد بك النزع والسياق وقد بلغت الروح التلاق : ﴿**كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ**﴾[القيامة:٢٦، ٢٧].

وبطلت بعدُ كل حيلة ، وعجزت عن كل وسيلة ، وعلمت أن نهاية المطاف هو : ﴿**إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**﴾[القيامة:٣٠].

في تلك اللحظة تطوي فيها صحيفة أعمالك إما على الحسنات أو على السيئات وتنادي وتقول: ﴿**رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ**﴾[المنافقون:١٠].

تحس في تلك اللحظة بقلب متقطع من الألم.

تحس في تلك اللحظة بشعور الندم.

تحسب أن الأيام انتهت، وأن الدنيا قد انقضت، فتخيل نفسك أنت أيها القارئ يوم تقلبك على المغتسل بيد الغاسل، وقد زال عنك عزك، وسلب مالك، وأخرجت من بيت أحبابك، وجهزت لترابك، ونادوا أين المغسل؟

وقام من كان أحـــب النـــاس في عجـــل
نحــــو المغســــل يــــأتيني يغســــلني
وقال يـــا قـــوم نبغـــي غاســـلا حـــذقا
حـــرا أديبـــا أريبـــا عارفـــا فطـــن
فجـــاءني رجـــل منـــهم فجـــردني
مـــن الثيـــاب وأعـــراني وأفـــردني
وأطرحـــوني علـــى الألـــواح منفـــردا
وصـــار فـــوقي خريـــر المـــاء يـــنظفني

وأسكب المـــاء مـــن فـــوقي وغســـلني
غســـلًا ثلاثًـــا ونـــادى القـــوم بـــالكفن
وألبســـــوني ثيابـــــا لا كمــــام لهــــا
وصـــار زادي حنوطًـــا حـــين حـــنطني

ووضعوك على النعش جثة هامدة لا حراك فيها ، فيا ســبحان الله أين لسانك الفصيح؟ ما أسكتك ؟ أين صوتك الشجي ؟ مــا أخرسك؟ أين ريحك العطر؟ ما أنتنك؟ وحملــوك إلى المســجد لا لتصلي ولكن ليصلي عليك.

صلوا علـــي صـــلاة لا ركـــوع لهـــا
ولا ســـــجود لعـــــل الله يـــــرحمني
وأنزلـــوني إلى قـــبري علـــى مهـــل
وأنزلـــوا واحـــدًا منـــهم يلحـــدني

ثم ألبسوك الكفن وحملت إلى دار العفن، وأخرجت من بــين أحبابك، وجهزت لترابك.. وفي لحظة واحدة أصــبحت كــأن لم تكن شيئا مذكورا طويت صفحاتك وصرت في عدد الأمـــوات، وأخرجت من الدنيا وغادرت هذه الحياة.

وأخرجـــوني مـــن الـــدنيا فواأســـفا
علـــــى رحيـــــل بــــلا زاد يـــــبلغني
وحمَّلـــوني علـــى الأكتـــاف أربعـــة
مـــن الرجـــال وخلفـــي مـــن يشـــيعني

أخي الحبيب:

هل تذكرت ؟ كيف بك وجسمك في القبر ممدودا ؟ وأنـــت وحيد فودعت هذه الدنيا وفارقتها ، هل تذكرت إذا جاءتك فيـــه الديدان، فأكلت من جسمك، ونهشت من لحمـــك، ونخـــرت في عظمك.. وأنت لا تستطيع دفاعا عن نفسك، هل تذكرت كيف بك إذا جاءك قبل ذلك الملكان فأجلساك.. وانتهراك وسألاك.. من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ قد تستطيع الإجابة الآن.. لكن في تلك الحفرة.. في ذلك القبر في ذلك الظلام ستكون الإجابة صعبة جـــدا إلا على من وفقه الله. فمن قائل : ربي الله، وديني الإســـلام ونـــبي محمد ﷺ ومن قائل : هاه هاه لا أدري، سمعت النـــاس يقولـــون فقلت.

قال ﷺ : «**إنما القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة مـــن حفر النار**» [رواه الترمذي].

أخي الحبيب :

قال التميمي: «شيئان قطعا عني لذة الدنيا : ذكر الموت وذكر الموقف بين يدي الله تعالى».

وقال الدقاق: «من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشـــياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نســـي المـــوت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة، وتـــرك الرضـــا بالكفـــاف، والتكاسل في العبادة»

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «إن هذا الموت قد أفسد

على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا عيشا لا موت فيه».

وقال مالك بن دينار: «لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون غدا ما لذوا بعيش أبداً».

وقال لقمان لابنه : «يا بنيّ أمرٌ لا تدري متى يلقاك ، استعدله قبل أن يفاجئك».

يا مــن بــدنياه اشــتغل وغـــرّه طـــول الأمــــل
المــــوت يـــأتي بغتـــة والقبر صـــندوق العمــل

أخي الحبيب : إن القلوب والأنفس تتعلق بل تتنــافس علــى حطام هذه الدنيا الفانية، ولربما أدى هذا الأمر إلى نسيان المــوت والقبر والدار الآخرة، ولربما قسا القلب، وفرط في جنب الله فنعوذ بالله من قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن نفس لا تشــبع، ومن دعوة لا ترفع، نعوذ بالله من هؤلاء الأربع.

أخي الحبيب : هل تأملت وأنت ترى الميت يُصــلى عليــه، ويحمل على الأعناق، ويذهب به إلى مسكنه وداره التي هــي أول منازل الآخرة ؟ هل رأيت الميت عندما يدفن ويوضــع في القــبر وحده؟ لا مال له، ولا أولاد له، ولا أم له، ولا زوجة له، وكيف يوسد لبنة تحت رأسه ويوجه للقبلة وتوضع عليه اللبنات ثم يهــال عليه التراب.

فلـــو أنـــا إذا متنـــا تُركنـــا
لكان الموت غاية كـــل حـــي
ولكنـــا إذا متنــــا بُعثنــــا
لنسأل بعده عن كـــل شـــي

هل فكرت بحالك، واستشعرت لو أنك هذا الميت الذي يدفن ، ماذا والله ستتمنى ؟ ! هل فكرت أن هذا هو طريق كل حي وأن الموت آت والقيامة آتية لا محالة.

أخي الحبيب :

هو الموت فاصنع كل مـــا أنـــت صـــانع
وأنت لكــأس المــوت لابــد جــارع

كــــل امـــــرئ مصـــــبح في أهلــــه
والمـــوت أدنى مــــن شـــراك نعلـــه

قال الله تعالى : ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِــكَ مَــا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[ق:١٩].

فمن يجادل في الموت وسكرته ؟ ومن يخاصم في القبر وضمته؟ ومن يقدر على تأخير موته وتأجيل ساعته؟! ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[الأعراف:٣٤].

أخي الحبيب :

فيـــا جـــامع الـــدنيا لغـــير بلاغـــة
ســـتتركها فـــانظر لمـــن أنـــت جـــامع

أخي الحبيب : قال رسول الله ﷺ «**عش ما شئت فإنك ميّت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنـــك مجـــزي به**».

يـــا زارع الخـــير تحصـــد بـــه ثمـــراً
يا زارع الشر موقــوف علـــى الـــوهن
يا نفس كفي عن العصيان واكتســـبي
فعـــــلا جمـــــيلا لعـــــل الله يـــــرحمني

أخي الحبيب : زر القبور وقف وقفة تأمل ومحاسبة !! ألم يكن أصحاب تلك القبور يعيشون على ظهر هـــذه الأرض، يـــأكلون ويشربون ويمرحون..الخ.

من أجل ذلك ولخطورة الأمر أردت تذكير نفســـي المقصـــرة وتذكير إخواني بالموت، وذلك بزيارة القبور لكـــي تـــرق هـــذه القلوب القاسية، ولتهدأ تلك الأنفس الظالمة، ولتتذكر أنـــه مهمـــا طال الزمن أو قصر ومهمـــا بلـــغ الإنســـان أعلـــى الـــدرجات والمستويات، فهو مسكين ، غدا يرحل عن هذا الدنيا، بلا رجعة : ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَـــرَّةٍ وَتَـــرَكْتُمْ مَـــا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾[الأنعام:٩٤].

قال كعب بن زهير:
كل ابن أنثـــى وإن طالـــت ســـلامته
يومـــا علـــى آلـــة حـــدباء محمـــول

فالبدار إلى التوبة يا عبد الله، فبها تسمو نفســـك وينشـــرح صدرك وتسود في الدنيا والآخرة، فكلمـــات التـــائبين صـــادقة، ودموعهم حارة، وهممهم قوية، ذاقوا حلاوة الإيمان بعـــد مـــرارة الحرمان، ووجدوا برد اليقين بعد نار الحيرة، وعاشوا حياة الأمـــن

بعد مسيرة القلق والاضطراب، وإياك إياك من التسويف والتـــأخر، فإنك لا تدري هل ستكون غدا في عداد الأحياء أو ممن دفنوا تحت أطباق الثرى، وودعوا هذه الدنيا وأصبحوا في ظلمـــة القبـــور وفي ضيق اللحود، بعد أن سكنوا الدور والقصور، فأرع سمعك أخـــي الشاب لداعي الحق وأجب نداء الله تعالى إذ يقول : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا اسْـــتَجِيبُوا لِلَّـــهِ وَلِلرَّسُـــولِ إِذَا دَعَـــاكُمْ لِمَـــا يُحْيِيكُمْ**﴾[الأنفال:٢٤] وأعلن بصرخات مجلجلة وبصيحات مدوية تهز الوجدان ، وتطرب الآذان ، وتبعث في القلـــوب الإيمـــان : أن السعادة لا توجد إلا في طاعة الرحمن.

ولست أرى الســعادة جمــع مــال
ولكـــن التقـــي هـــو الســـعيد
وتقـــوى الله خـــير الـــزاد ذخـــراً
وعنـــــد الله للأتقـــــى مزيـــــد

فأقبل على الله تعالى بقلبك وقالبـــك، بروحـــك وجســـدك، وستجد حلاوة الإيمان قبل أن يتمكن منك ملك المـــوت ويقـــبض روحك، فالموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً، فأقبل على الله وتـــب، فإن الله تواب رحيم، ورحمته وسعت كل شيء.

اللهم وسِّع لأهل القبور مدخلهم، واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس.. اللهم جازهم بالحسنات إحسانا، وبالسيئات عفواً وغفرانا، وارحمنا اللهم إذا صرنا إلى ما صاروا إليه، تحت الجنادل والتراب وحـــدنا ،

اللهم ارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه، وأنزل اللهم على قبورنـــا الضياء والنور، والفسحة والسرور، اللهم إنا نسألك : أن تـــؤنس وحشتنا في القبور، اللهم نوِّر علينا قبورنا، اللهم نوِّر علينا قبورنا.. اللهم.. آمين ».